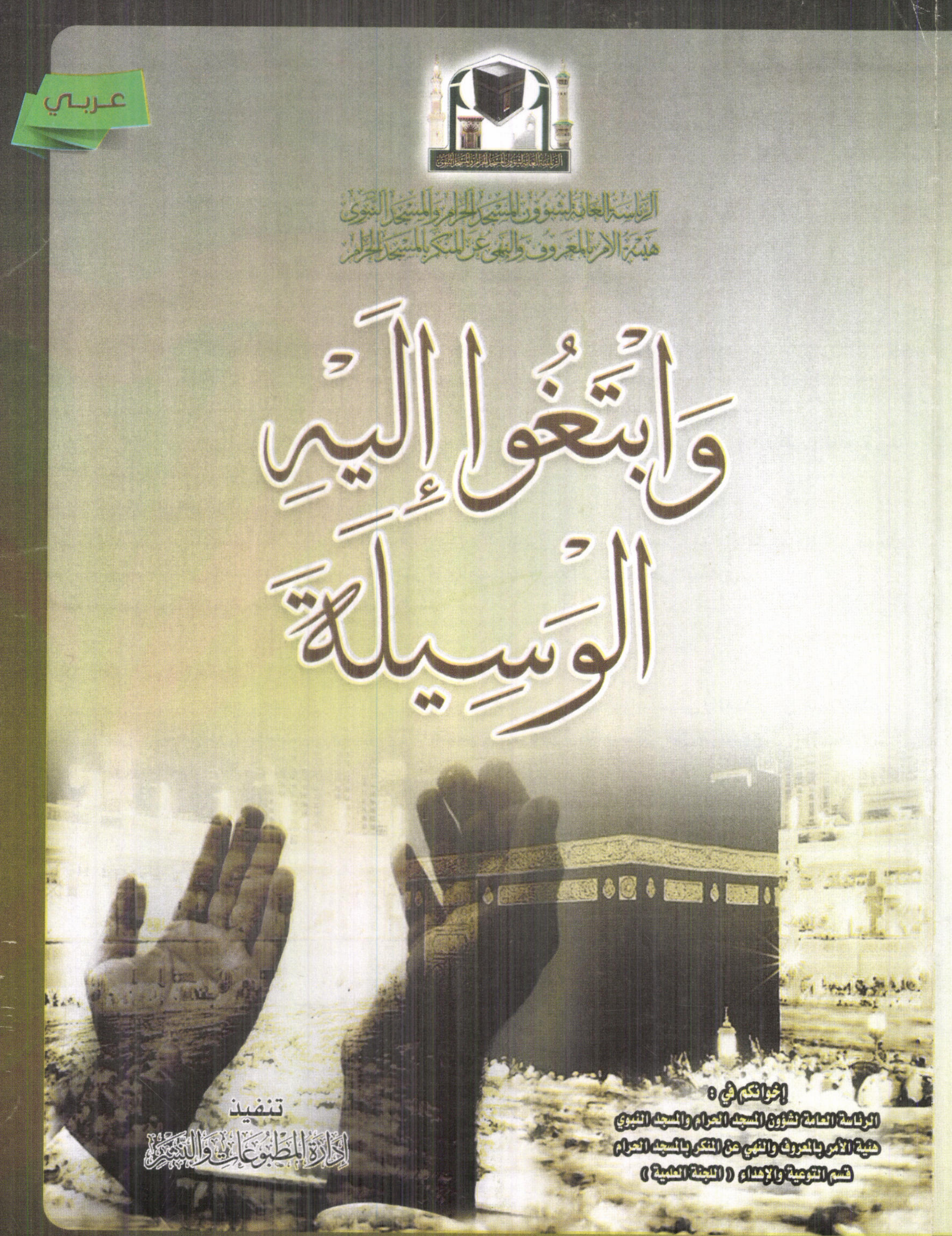


قواعد مهمة

١ - القاعدة الأولى:

لابد من فهم النصوص الشرعية كما فهمها الصحابة رضي الله عنهم وذلك أنهم حضروا تنزيل القرآن وعلموا أسبابه، وفهموا مقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم وأدركوا مراده ومن ذلك فهم معنى (التوسل بالصالحين) فعن أنس رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ قام رجل فقال: يا رسول الله هلك الكراع، وهلك الشاء، فادع الله أن يسقينا، فمد يديه ودعا) رواه البخاري.

فهذا كان توسلهم به عليه الصلاة والسلام في حياته، فقد كانوا يتوسلون بدعائه، أما بعد موته فلم يكونوا يتوسلون به كما كانوا يفعلون في حياته، ولكنهم يتوسلون بدعاء الصالحين الأحياء، كما جاء في الصحيح عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وانا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون) رواه البخاري. أي يطلبون من العباس الدعاء لهم كما كانوا يطلبوا الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم. ولو كان التوسل بالصالحين الميتين جائزا لما ذهب الصحابة رضي الله عنهم إلى العباس رضي الله عنه وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ - القاعدة الثانية:

لابد من جمع الأدلة الواردة في المسألة للخروج بحكم صحيح وأما العمل ببعض الأدلة وترك بعضها فهي طريقة أهل الزيغ وهو من اتباع المتشابه الذي نهى الله عن اتباعه، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} آل عمران آية ٧

٣ - القاعدة الثالثة:

جميع الأدلة التي يستدل بها المخالفون للمعتقد الصحيح في مسألة التوسل إما صحيحة غير صريحة كقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} المائدة آية ٣٥

فهذا دليل قطعي من جهة ثبوته لكنه ليس صريحاً فيما ذهب إليه المخالفون من التوسلات الباطلة والممنوعة وانما تدل على التوسل المشروع كالتوسل بالإعمال الصالحة كما فسرها الصحابة رضي الله عنهم ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما فقد فسرها بالقربة وفسرها تلميذه قتادة بالتقرب إلى الله بالطاعة والعمل الصالح .

و إما **صريحة غير صحيحة** كالحديث الذي يستدل به المخالفون على جواز التوسل بحق النبي وجاهه وهو: "من خرج من بيته إلى الصلاة ، فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاي هذا...الحديث". فهذا حديث لا يصح نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم وقد ضعفه النووي والهيثمي .

التوسل

أن يذكر الداعي في دعائه
ما يرجو أن يكون سبباً في قبول دعائه

المشروع

هو التوسل بوسيلة دل الشرع عليها.
وله صور كثيرة منها ما يلي :

أولاً : التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته ، كأن تقول: اللهم أنت السميع الذي تسمع كل شيء، اللهم أنت المدبر لهذا الكون والمصرف له، اللهم إن لك الأسماء الحسنى، والصفات العلى، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، إلخ. ودليله قوله تعالى: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا } سورة الأعراف آية ١٨٠

ومن آداب هذه الصورة أن يكون التوسل بالاسم المناسب للحال كالذي يريد الرزق يقول يارزاق ارزقني والذي يريد الشفاء يقول يا شافي اشفني ونحو ذلك.

ثانياً : التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح :

ومن الأدلة على ذلك قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة ؛ فأحدهم توسل ببره لوالديه، والثاني توسل بتركه للزنا، والثالث بالأمانة وتنمية مال الأجير فنجاهم الله بسبب ذلك كما في البخاري.

ثالثاً : التوسل إلى الله تعالى بدعاء الصالحين الأحياء :

{ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ } سورة يوسف آية ٩٧

أي ادع الله أن يغفر ذنوبنا.

وعن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب . فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون. "رواه البخاري.

رابعاً : التوسل بإظهار الذل والمسكنة :

{ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ } سورة القمر آية ١٠

{ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } سورة الأنبياء آية ٨٣

خامساً : الإعتراف بالذنب والفقر والحاجة لله سبحانه :

{ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } سورة القصص آية ١٦

{ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ } سورة القصص آية ٢٤

سادساً : التوسل بالاعتراف بالنعم :

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يُمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة" . رواه البخاري.

الشاهد : أبوء لك بنعمتك علي.

سابعاً : التوسل بالتوحيد :

{ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } سورة الانبياء آية ٨٧

الممنوع

هو التوسل بوسيلة لم يأت بها الشرع.
وهو قسمان:

القسم الأول
التوسل الشركي

مثاله : أن يأتي قبر نبي أو ولي أو غيرهما، فيقول: يا سيدي فلانا أغثني، اشفني أو اكشف كربتي أو اقض حاجتي أو أهلك عدوي أو يتوسل بالذبح له أو بالطواف حوله ونحو ذلك.

وهذا هو عين فعل مشركي العرب الذين كانوا يدعون آلهتهم ويتقربون إليهم بأنواع العبادات ويقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فهم لم يكونوا يعتقدون في معبوداتهم أنهم يخلقون ويرزقون ويدبرون ولكنهم يعبدونهم ليشفعوا لهم عند الله وهذا شرك أكبر والعياذ بالله.

قال تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) سورة الزمر آية ٣

القسم الثاني
التوسل البدعي

هو التعبد بأمر لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

قال صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ" . رواه البخاري.

ومعنى (أمرنا) أي: ما جئنا به من الشرع والتعبد.

ومثاله :

- أن يأتي إلى القبر ويسأل الله وحده معتقداً أن الدعاء عند مزار الولي أقرب إلى الإجابة أو تخصيص مكان معين أو بقعة معينة لم تخصص في الشرع والتعبد لله فيها.

أو سؤال الله بحق النبي صلى الله عليه وسلم أو بحق الولي أو بجاهه أو ببركته أو حرمته أو بحق قبره أو قبته أو بحق السائلين والمؤمنين ونحو ذلك.